

الكشف الحثيث

عن آداب طالب الحديث

تجمع: أبي عمير

محدثي بن محمد عرفات المصري الأثري

الناشر

مكتبة عبد المصور بن محمد بن عبد الله

ت: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى -

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع

٢٠٠٤/٩٤٥٣٨

الناشر

مكتبة عبد المصور بن محمد بن عبد الله

القاهرة - مساكن عين شمس - شمس مسجد الهدي المحمدي

ت: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في ضلالة.

في النار.

❖ ثم أما بعد؛ فقد قال الخطيب في مقدمة الجامع:

«والواجب أن يكون طلبه الحديث أكمل الناس أدباً وأشد الخلق تواضعاً وأعظمهم نزاهةً وتديناً، وأقلهم طيشاً وغضباً لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجلها وأحسنها ويضيقوا عن أردأها وأدونها».

وهذه جملة من الآداب التي ينبغي للطلاب أن يتحلى بها:

١ - النية في طلب الحديث:

يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه، قال الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] «لأننا الأعمال بالنيات».

❖ وقوله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسَّناء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب» [رواه أحمد وابن في الزوائد وسنده صحيح، حب، ك].

❖ ومنها: قول أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: رأيت رجلاً غزاً يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه» (مسند جيد).

❖ وقوله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غير تركته وشركه» (رواه مسلم).

❖ وقوله ﷺ: «من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار».

[ابن ماجه صحيح الترغيب ص ٤٧]

❖ وقوله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به قعره فعمه قعرها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قبل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به...» (مسلم عن أبي هريرة).

❖ وقوله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها.

[صحيح (د، مع، أحمد، ك، ح، ابن عبد البر)]

❖ قال الثوري: «إننا يُطلب الحديث ليتقى الله به فلذلك فُصل على

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

غيره من العلوم ولولا ذلك كان كسائر الأشياء».

❖ قال حماد بن سلمة: «من طلب الحديث لغير الله مُكر به».

[ابن عبد البر حسن]

❖ قال ابن جماعة رحمه الله: «حُسن النية في طلب العلم يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعدَّ لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفیان الثوري: «ما عاجلت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي» ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ونحو ذلك فيستبدل الأدنى بالذي هو خير. قال أبو يوسف رحمه الله: يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى افتضح، والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب فإن خلصت فيه النية قُبِلَ وزكِيَ ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخسِرَتْ صفقته وربها تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه. [تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة]

❖ قال الخطيب: «وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض وطريقاً إلى أخذ الأعراض فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه، وليتق المفاخرة والمباهاة به وأن يكون قَصْدُهُ في طلب الحديث نيل الرئاسة

واتخاذ الأتباع وعقد المجالس فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية فإن رواية العلوم كثير ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب وعالم كالجاهل وحامل الحديث ليس معه منه شيء، إذ كان في أطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه». اهـ.

ومن كان على هذه النية الخالصة فإن قوله مسموع وفي القلوب مطبوع، قال عمر بن ذر لوالده: «يا أبي مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة. وفقك الله لرشدك». آمين.

✽ قال الثوري: «ما عاجلت شيئاً أشد عليّ من نيتي. وقال: لو علمت أن أحداً يطلب الحديث لله لسرت إليه في بيته فحدثته. وقال: لا أعلم شيئاً أفضل منه يعني الحديث لمن أراد الله به».

✽ قال مالك: «ما تعلمت العلم إلا لنفسي وما تعلمت ليحتاج الناس إليّ وكذلك كان الناس».

٢ - التحلي بالأخلاق الشريفة باطناً واستعمال السمات

وحسن الهدى ظاهراً:

وذلك باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن على نفسه فإن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

❖ وقال عليه السلام: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

[صحيح (ك، خد، هب عن أبي هريرة)]

❖ وقال: «إن المهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من

خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» [حسن (د، حم عن ابن عباس)].

❖ روى الحاكم في علوم الحديث والقاضي عياض في الإلماع بسنده

إلى الزهري قال: «إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه عليه السلام وأدب به النبي صلى الله عليه وآله أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدي إليه، فمن سمع علماً فليجعله إمامه وحجة فيما بينه وبين الله تعالى».

❖ قال مالك: «حق على طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة

وخشية».

❖ قال أبو عمير بن النحاس الرملي عن أحمد بن حنبل رحمه الله:

«عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأبأها، والبدع فنفاها» [النبلاء].

❖ قال الحسن بن إسماعيل عن أبيه: «كان يجتمع في مجلس أحمد

زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمسمائة يكتبون والباقيون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت».

❖ قال الحسن: «كان طالب العلم يرى ذلك في سمعه وبصره

وتحشعه».

❦ وقال ابن المبارك:

«أيها الطالب علِّمًا أثت حماد بن زيد

فاستفد حلِّمًا وعلِّمًا ثم قيَّده بقيد»

فعلى الطالب أن يطهر ظاهره بمجانبة البدعة والتحلي بسنن رسول الله ﷺ في أحواله كلها والمحافظة على الوضوء ونظافة الجسم والمظهر من غير تكلف وعلى قدر المستطاع، وعليه أن يطهر قلبه من كل غش وذنس وغلٍّ وحسد وسوء عقيدة وخلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن وكما لا تصح الصلاة وهي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث. فكَذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديتها، وإذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا طُيبت للزرع نما زرعها وزكا. وفي الحديث الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، قال سهل: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل .

[تذكرة السامع والمتكلم]

❦ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

«وعد رسول الله ﷺ جبريل أن يأتيه فراث عليه حتى اشتد ذلك على

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

رسول الله ﷺ فخرج فلقية جبريل فشكا إليه. فقال: «إنا لا ندخل بيتاً في كلب ولا صورة».

فإذا كانت الملائكة لا يدخلون بيتاً فيه كلب فكيف ينزلون قليلاً مليئاً بالأنجاس والخبائث ومذموم الصفات مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب ونحوها، وهذه الصفات كالكلاب النابحات في الباطن فكيف يمكن أن تتفق هذه مع ملائكة الرحمة؟

✽ قال الشافعي رحمه الله:

«شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصٍ»

٣ - انتقاء الشيوخ الثقات العدول المشهورين باستقامة

الدين وجميل الذكر وشرف الأخلاق:

قال تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

✽ قال ابن سيرين وغيره من السلف: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

✽ وقال شعبة بن الحجاج: «حدّثوا عن أهل الشرف فإنهم لا يكذبون».

✽ وقال إبراهيم: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه».

✽ قال مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعة:
أ- سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس.
ب- صاحب بدعة يدعو إلى هواه.

ج- من يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث.

د- صالح عابد إذا كان لا يحفظ ما يحدث به». [النبلاء].

✽ وليحذر كل الحذر من السماع من أهل الفسق والبدع والأهواء، قال الخطيب: «اتفق أهل العلم على أن السماع ممن ثبت فسقه لا يجوز».

✽ قال الثوري: «من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمعه ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة».

✽ وقال رجل من أهل البدع لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ فولىً هارباً وهو يقول بيده: «لا ولا نصف كلمة».

✽ وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء» - أو قال: أصحاب الخصومات - فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون».

✽ ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا:

يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالوا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا،

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

لتقومان غني أو لأقومته، فقاما، فقال بعض القوم: يا أبا بكر ما عليك أن يقرأ عليك آية؟ قال: «خشيت أن يقرأ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي».

✽ قال ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم: «وإذا سيرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً والفلاح يُدرِكُ طالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر، وعلى شفقتة ونصحه للطلبة دليل ظاهر، وكذلك إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقي الأزهـد أو فر والفلاح بالاشتغال به أكثر، وليجتهد أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع وله مع من يثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق» اهـ.

قلت: فإن الشيخ له أثر على تلميذه في عقيدته وأخلاقه وأقواله وأفعاله وعلومه، تأمل في أخلاق الصحابة وكيف أنهم على سنة الرسول ﷺ سائرون وبهديه وسمته متمسكون، وكذا من بعدهم من التابعين كانوا بهم متأثرين وبأقوالهم وأفعالهم مؤتسين، وهكذا سائر أهل القرون المشهود لهم بالخيرية، فمن كان شيخه على الجادة المستقيمة فهو على أثره سائر وكذا من كان شيخه من أهل البدعة لحق به في طريق جائر.

✽ ذكر أن سبب تشيع عبد الرزاق الصنعاني أنه لقي جعفر بن

سليمان الضُّبَيعي قال: فرأيتُه قاضلاً حسن الهدي فأخذت هذا عنه (التشيع).

❖ وكذا عمران بن حطان الخارجي الذي مدح قاتل علي بن أبي طالب سبب وقوعه في هذه البدعة أنه تزوج ابنة عمه الخارجية ليردها عن مذهبها فتأثر بها وصار خارجياً غالياً.

❖ قال يوسف بن أسباط: «كان أبي قدرياً وأخوالي روافض، فأَنقَذني الله بسفيان الثوري».

❖ وهذا ابن القيم الذي تأثر بشيخه ابن تيمية حتى استقام على الطريق فقال فيه:

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخٍ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضلُه	من ليس تجزيه يدي ولساني
فتى أتى من أرض حران فيا	أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يميزه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يده يدي وسار فلم يرم	حتى أراني مطلع الإيمان

٤ - تضييع القلب للعلم وعدم إشغال فكره بسواه:

قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]
ويعقب ذلك تفرغ البدن من أشغال الدنيا قدر المستطاع.

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

❖ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون» [رواه البخاري ومسلم].

❖ وفي الصحيحين أيضًا من حديث عمر رضي الله عنه قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا فإذا نزلت جثته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...» الحديث.

وهذا لمن كان لابد له من عمل وتكسب لأولاده يفرغ نفسه يومًا للعلم وعلم اليوم التالي يأخذه عن قرينه لا يضع شيئًا من العلم فأما من كفي ذلك فليتفرغ كلية.

❖ قال المقدسي في مختصر منهاج القاصدين (ص ١٧): «وينبغي له (أي: المتعلم) قطع العلائق الشاغلة فإن الفكرة متى توزعت قُصُرَتْ عن إدراك الحقائق، وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء فروي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه لم يتزوج إلا بعد الأربعين، وأُهديت إلى أبي بكر بن الأنباري جارية فلما دَخَلَتْ عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه فقال: أخرجوها إلى النخاس، فقالت: هل من ذنب؟ قال: لا إلا أن قلبي اشتغل بك وما قَدَّرُ مثلك أن يمنعني علمي» اهـ.

✽ قال الخطيب:

«ما للمعيل وللمعالي إنما يسمو إليهن الوحيد الفارد
فالشمس تجتاب السماء وحيدة وأبو بنات النعش فيها واكد
بنات النعش الكبرى: سبعة كواكب، أربعة منها نعش لأنها مربعة،
وثلاث بنات نعش، الواصل بين نعشين.

٥ - كتابة العلم وتدوينه:

فقد أقسم الله عز وجل بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل
قلم يكتب به في الأرض والسماء، وأقسم سبحانه بالكتابة فقال:
﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: والذي يكتبون. وذلك لشرف
الكتابة ومكانتها، أو لأنها نعمة من الله أنعم بها على عباده فالقلم أحد
اللسانين كما يقال.

✽ روى البخاري في صحيحه وغيره من حديث أبي هريرة: «لما
فتحت مكة قام رسول الله ﷺ خطيباً (فذكر خطبته ﷺ)، قال: فقام
رجل من اليمن يقال له: أبو شاه فقال: يا رسول الله اكتبوا لي، فقال
رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه».

✽ وروى البخاري أيضاً وغيره عن أبي هريرة قال: «لم يكن أحد
من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو بن
العاص فإنه كتب ولم أكتب».

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

✽ وروى أحمد وأبو داود والدارمي وغيرهم بسند صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه، رسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق».

✽ روى الخطيب في الجامع والتقييد وابن عبد البر في الجامع وغيرهم: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ» [حسنه الألباني. وثبت موقوفاً عن أنس].

✽ وقال إبراهيم: «لا يأس بكتاب الأطراف».

[ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة في العلم، صحيح]

✽ قال الضحاك: «إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط».

✽ وعن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فإذا نزل نسخه».

[الدارمي وابن أبي شيبة وابن عبد البر، صحيح]

✽ قال أبو قلابة: «الكتاب أحبُّ إليَّ من النسيان».

[ابن أبي شيبة والتقييد والجامع لابن عبد البر (٤٠٦)، صحيح]

✽ قال أبو المليح الهذلي: «تعيون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى:

﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ [طه: ٥٢].

✽ قال عبد الله بن حنشل الأودي: «رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب».

✽ قال معاوية بن قرة: «من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً».

[الدارمي، ابن عبد البر (٤١٧)، وهو حسن]

✽ قال مالك يوصي خالد بن خدأش: «عليك بتقوى الله في السر والعلن، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله».

[الحلية وابن عبد البر (٢٧٥)، وهو حسن]

✽ وقال يحيى بن سعيد: «لأن أكون كتبت ما كنت أسمع أحب إلي من أن يكون لي مثل مالي» [صحيح، التقييد والجامع لابن عبد البر (٤١٩)].

✽ قال شعبة: «إذا رأيتموني أئج الحديث فاعلموا أنني تحفظته من كتاب».

✽ وقال الخليل بن أحمد: «اجعل ما تكتب بيت مال، وما في صدرك النفقة» [صحيح، الجامع (٤٢٦)].

✽ قال الشعبي: «الكتاب قيد العلم».

✽ قال إسحاق بن منصور لأحمد بن حنبل: «لو لم يكتب العلم لذهب، قال: نعم ولولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن».

✽ قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: «كل من لا يكتب العلم لا

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

يؤمن عليه الغلط» [الجامع (٤٣٣)].

✽ قال صالح بن كيسان: «اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا: نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، وقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، وكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت» [عبد الرزاق، ابن عبد البر الجامع (٤٤١)، صحيح].

✽ قال الخليل بن أحمد: «ما سمعت شيئاً إلا كتبت، ولا كتبت إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعتني» [صحيح التقييد].

✽ قال علي بن المديني: «أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب» [التبلاء].

✽ وقد صدق القائل إذ يقول:

«العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الوثيقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتركها بين الخلائق طالقة»

✽ وهذه بعض آداب الكتابة:

١- لا ينبغي أن يكتب الطالب خطأً دقيقاً إلا في حال العذر.

٢- يتبدئ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ظاهرة.

٣- لا يكتب عبد الله (عبد) في آخر السطر (ولفظ الجلالة) في أول

السطر الثاني، وكذا رسول الله.

٤- إذا كتب اسم النبي ﷺ يكتب معه الصلاة عليه واضحة تامة.

٥- ضبط الكلمات المشككة أو التي يتطرقها التصحيف وكذا

الأسماء.

٦- المعارضة لما كتب أي قراءته على بعض الشيوخ من أصله.
 * قال يحيى بن أبي كثير: «الذي يكتب ولا يعارض مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي» [الجامع (٤٥٠)].

٦- توقير الشيخ وتقديره وهيبته:

في قصة موسى عليه السلام مع الخضر قال له: ﴿هَلْ أَتَبَعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فبدأه بعد السلام بالاستئذان منه على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، أدب مع المعلم.

* قال عليه السلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا) يعني حقه. [صحيح، الجامع ابن عبد البر (٢٦١)].

* قال الشعبي: «صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: خلّ عنه يا بن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء».

[جامع، طب، عبد البر (٨٣٢)، صحيح]

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فكنت ستين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن حديث ما منعني منه إلا هيئته...» [مسلم].

* قال طاوس: «من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، وإن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه».

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

❖ وليحذر الطالب أن يماري شيخه فإن المراء شر كله وهو مع الشيخ أشد قبحًا.

❖ قال أبو سلمة: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علمًا كثيرًا».

❖ قال ابن جريج: «لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به».

❖ قال إسحاق بن راهويه: «جاء فتى إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجبذه فقال: يا سفيان حدثني، فالتفت سفيان فقال: يا فتى إنه من جهل أقدار الناس فهو بقدر نفسه أجهل» [الإلماع ص ٢٤٣].

❖ قال ميمون بن مهران: «لا تمار من هو أعلم منك فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه ولم تضره شيئًا».

❖ يقال: «إن الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء فقال: أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها»
❖ وقال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر: «لا أقعد بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه» [تذكرة السامع والمتكلم].

❖ وقال الشافعي رحمه الله: «كنت أصفح الورق بين يدي مالك صفحًا رقيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها».

❖ وقال حمدان الأصفهاني: «كنت عند شريك رحمه الله فأتاه بعض

أولاد الخليفة المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا، ثم عاد فعاد لمثل ذلك، فقال: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ فقال شريك: لا ولكن العلم أجل عند الله تعالى من أن أضعه فجثا على ركبتيه، فقال شريك: هكذا يطلب العلم» [المجموع (١/٣٦)]

✽ قال الخطيب: «وإذا خاطب الطالب المحدث عظمه في خطابه بنسبته إياه إلى العلم مثل أن يقول له: أيها العالم أو أيها الحافظ ونحو ذلك. قال: وينبغي أن يكون مقعد الطالب من المحدث بمنزلة مقعد الصبي من المعلم، ويجب أن يُقبل على المحدث بوجهه ولا يلتفت عنه ولا يُسارَّ أحدًا في مجلسه ولا يحكي عن غيره خلاف روايته.. قال: وإذا روى المحدث خيرًا قد تقدمت معرفته فينبغي له أن لا يداخله في روايته ليريه أنه يعرف ذلك الحديث، فإن من فعل مثل هذا كان منسوبًا إلى سوء الأدب. قال ابن جريج: إني لأسمع الحديث من الرجل فأصغي له وكأنني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد. قال: وإذا روى المحدث حديثًا فعرض للطالب في خلاله شيء أراد السؤال عنه لا يسأل عنه في تلك الحال بل يصبر حتى يُنهي حديثه ثم يسأله عما عرض له، وليجنب الطالب سؤال المحدث إذا كان قلبه مشغولاً».

✽ قال ابن جماعة: «وعليه أن يعرف للشيخ حقه ولا ينسى فضله وأن يعظم حرمة ويرد غيبه ويغضب له فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس وينبغي أن يدعو له مدة حياته ويرعى ذمته وأقاربه

الكشف الخثيث عن آداب طالب الحديث

وأولاده بعد وفاته ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه .

[تذكرة السامع والمتكلم]

٧- الصبر على الطلب والتحصيل:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَارِجِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [الفصل: ٨٠].

والآيات كثيرة في الصبر والحث عليه ومدحه.

❖ وقال ﷺ: «والصبر ضياء» [مسلم].

وقال: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع

من الصبر» [متفق عليه].

والصبر على أنحاء شتى منها:

١ - الصبر على الترحال:

❖ قال الحاكم عن أهل الحديث: «... آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار. جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تكاياهم، وبواربها فرشهم، نبذوا الدنيا بأشرفها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة وسميرهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السهاد، واصطلاءهم الضياء، وتوسدهم الحصى».

❖ قال البخاري: «باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾» ثم روى بسنده إلى ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى من هو؟ فقال ابن عباس: هو خضر.. الحديث.

❖ قال ابن حجر عند شرحه: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يغتبط به تحتل المشقة فيه».

❖ قال البخاري: «باب الخروج في طلب العلم، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد» الحديث: «يحشر الله الناس يوم القيامة عراة غرلاً بُهَّما، قلنا: وما بهما؟ قال: ليس

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب - أنا الملك أنا الديان لا يتبني لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا يتبني لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وإنما تأتي الله عراة بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات [الأدب المفرد].

✽ قال الحافظ: «وفي هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية»
✽ وصدق القائل:

«إن العلا حدثني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في التُّنْقَلِ
إذا نام غُرٌّ في دجى الليل فاسهر وقم للمعالي والعوالي وشمر»
✽ قيل للشعبي: «من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنقي الاعتماد
والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب».

[تذكرة الحفاظ]

✽ وقال سعيد بن المسيب: «كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

✽ قال مكحول الشامي: «كنت مولى امرأة من هذيل فأعتمقت بمصر فلم أدع بها علماً إلا حويته فيها أرى، ثم أتيت العراق فلم أدع بها علماً إلا حويته فيها أرى ثم أتيت المدينة فكذلك، ثم أتيت الشام فغرلتها كل ذلك

أَسْأَلُ عَنْ النَّقْلِ، وَقَالَ: طَفَتِ الْأَرْضُ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ [تَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ]
 * قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (فِي صَيْدِ الْخَاطِرِ): «طَافَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
 الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى جُمِعَ الْمُسْنَدُ».

* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «رَحَلْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ إِلَى الثُّغُورِ
 وَالشَّامَاتِ وَالسَّوَاوِحِلِ وَالْمَغْرِبِ وَالْجَزَائِرِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحِجَازَ
 وَالْيَمَنَ وَالْعِرَاقَيْنِ (الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ) جَمِيعًا وَفَارِسَ وَخِرَاسَانَ وَالْجِبَالَ
 وَالْأَطْرَافَ ثُمَّ عَدْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَخَرَجْتُ إِلَى الْكُوفَةِ فَكُنْتُ فِي بَيْتٍ تَحْتَ
 رَأْسِي لَبَنَةٌ فَحَمَمْتُ فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي رَحِمَهَا اللَّهُ وَلَمْ أَكُنْ اسْتَأْذَنْتَهَا وَلَوْ
 كَانَ عِنْدِي تِسْعُونَ دِرْهَمًا كُنْتُ رَحَلْتُ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ إِلَى الرِّيِّ
 وَخَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَلَمْ يُمْكِنِي الْخُرُوجُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ».

* أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ صَاحِبُ الْأَنْسَابِ: قَالَ الْمُعَلِّمِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ
 الْأَنْسَابِ: «تَوَفَّى وَالِدَ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ وَعُمَرُ وَلَدُهُ نَحْوُ ثَلَاثِ سِنِينَ
 وَتَصَفَّ فَكَفَلَ أَبَا سَعْدٍ وَصِيَّهَ وَعَمَّاهُ وَكُلُّهُمْ مِنْ خِيَارِ الْعُلَمَاءِ، فَاعْتَنَوْا بِهِ
 خَيْرَ عَنَايَةٍ وَحَفِظُوا الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمُوا الْفِقْهَ وَالْعَرَبِيَّةَ وَالْأَدَبَ وَصَارَ يَسْمَعُ
 الْحَدِيثَ مَعَ عَمِّهِ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ قَارَبَ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ صَارَ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ
 غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَحُوا لَهُ بِالرَّحْلَةِ إِلَّا بِأَخْرَجَةٍ وَقَدْ أُلْحَ عَلَيْهِمْ أَبُو سَعْدٍ أَنْ
 يَأْذَنُوا لَهُ بِالرَّحْلَةِ إِلَى نَيْسَابُورَ لِيَسْمَعَ صَحِيحَ مُسْلِمٍ مِنَ الْمُتَفَرِّدِ بِهِ الْمُعَمَّرِ
 الثَّقَةِ الْفَاضِلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ الْفَرَاوِيِّ الَّذِي طَالَ عُمُرُهُ
 [٤٤١ - ٥٣٠] وَأَصْبَحَ يُتَوَقَّعُ كُلُّ يَوْمٍ مَوْتُهُ وَكَانَ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ قَدْ

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

تفرد (بصحيح مسلم) بسندٍ عالٍ جليل ولم يكن بينه وبين مسلم إلا ثلاثة مع أن بين وفاتيهما نحو مائتين وسبعين سنة وإذا مات ولم يسمع منه أبو سعد كانت حسرةً في قلبه لا تندمل فلم يأذنوا له حتى جاوز عمره الثانية والعشرين من السنين لم يسمحوا له بالسفر وحده بل سافر معه عمه أبو القاسم أحمد بن منصور وضاق صدر أبي سعد بتلك العناية الحبيبة الكريمة فلما أتم سماع (صحيح مسلم) في نيسابور على الفراوي أراد عمه أن يرجع به إلى وطنه فلم يسمع أبا سعد إلا أن يختبئ أملاً أن يملَّ عمه الانتظار فيذهب ويدعه يطوف في مراكز العلم كما يحب، لكن العم كان أصبر منه لزم نيسابور حتى ملَّ أبو سعد الاختباء فظهر وطاوع عمه في الرجوع معه. وكأنه بقي يحاج عمه ويوضح له أنه مضطر إلى الرحلة وأنه لا داعي لمنعه من الغربة وخذُّه ويمكن أن يكون كاتب عمه الآخر والوصي فعاد جوابها بالإذن له، نعم أذن له عمه وهو بطوس فرجع أبو سعد إلى نيسابور وأقام بها سنة ثم ذهب يطوف في مراكز العلم في الدنيا عدة سنوات واتسعت رحلته ومات عمه والوصي عليه بمرو وهو في الرحلة».

وهذا أبو طاهر السلفي الحافظ العلامة شيخ الإسلام عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني ثم الإسكندري المعمرُ أحفظ الحفاظ وشيخ العلم والحديث مائة سنة المحدث الجهد المقرأ الأديب المؤرخ اللغوي الناقد الضابط - يقول:

«أنا من أهل الحديث وهم خير فئة

جزت تسعين وأرجو أن أجوز المئة»

فحقق الله رجاءه فجاوز المائة ولم يزل يُقرأ عليه الحديث حتى آخر يوم من حياته إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته وهو في هذه السن الكبيرة يَرُدُّ على القارئ اللحن الخفي وصلى الصبح عند انفجار الفجر من يوم الجمعة ٥ ربيع الأول سنة ٥٧٦ أو قبلها.

٢ - الصبر على هجر النوم والراحة والدعة وسائر

اللذات:

❖ قال أبو نصر بن نباتة السعدي:

«أعاذلتي على إتعاب نفسي ووعمي في السرى روض السهاد

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب الرقاد»

❖ قال يحيى بن أبي كثير: «لا يستطاع العلم براحة الجسم» .

[رواه مسلم]

❖ وقال أبو أحمد نصر بن أحمد العياضي السمرقندي: «لا ينال هذا

العلم إلا من عطل دكانه وخرب بستانه وهجر إخوانه ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته» [الجامع للخطيب].

❖ روى الحاكم في المستدرک وابن عبد البر في الجامع: عن ابن

عباس قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لشاب من الأنصار هيا نسأل

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم متوافرون، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك؟ وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كنت آتي باب الرجل فأسأل عنه فأجده قائلاً فأفترش ردائي على عتبة بابه حتى يخرج وقد طابت نفسه».

✽ وذكر ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل: «عن أبي بكر بن أسلم بن سليمان: رحل أبي من نيسابور إلى مرو ليكتب عن ابن المبارك فقال أبياتاً أنشدها لابن المبارك:

خلفت عرسي يوم السير باكية	يا ابن المبارك تبكيه برنات
خلفتها سحرًا في النوم لم أرها	ففي الفؤاد منها شبه كيات
أهلي وعرسي صبياني رفضتهم	وسرت نحوك في تلك المقازات
أخاف والله قطاع الطريق بها	وما أمنتُ بها من لدغ حيات
مستوفزات بها رقت مشوهة	أخاف صولتها في كل ساعاتي
اجلس لنا كل يوم ساعة بكرًا	إن خف ذاك وإلا بالعشيات
يا أهل مرو أعينونا بكفكم	عنا وإلا رميناكم بأبيات
لا تضجرونا فإننا معشر ضُبر	وليس نرجو سوى رب السموات»

✽ روى الدارمي: قال الليث بن سعد: «تذاكر الزهري ليلة بعد العشاء حديثاً وهو جالس متوضئ فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح».

✽ قال ابن هشام النحوي المصري أبو محمد جمال الدين عبد الله بن

يوسف - وهو ينصح طلبة العلم بالصبر على المشقة التي يعانونها في التحصيل، ومن هذه المشاق الفقر - يقول:

«ومن يصطر للعلم بظفر بتيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيراً يعيش دهرًا طويلًا أخاذلًا»
* وقال بعضهم يتصبر على الفقر والعدم:

«الجوع يدفع بالرغيف اليابس فعلام أكثر حسرتي ووساوسي
والموت أنصف حين ساوى حكمه بين الخليفة والفقير البائس»
* قال الشافعي رحمه الله ليونس بن عبد الأعلى: «يا أبا موسى قد
أنست بالفقر حتى لا أستوحش منه، يا أبا موسى أزين شيء بالعلماء
الفقر مع القناعة والرضا بهما. وقال: سمعت محمد بن الحسن يقول: لا
يصلح في هذا الشأن إلا من أفرح البُنُّ قلبه» [شيء من الكوامخ].

* وقال مالك: «لا يُنال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر»
[ترتيب المدارك].

* وقال الشافعي أيضًا:

«أمطري لؤلؤًا سماء سرنديب	وفیضي آبار تکرور تبراً
أنا إن عشت لست أعدم قوتًا	وإذا مت لست أعدم قبرًا
همتي همة الملوك ونفسي	نفس حر ترى المذلة كفرًا
وإذا ما قنعت بالوقت عمري	فلساذا أزور زيدًا وعمراً»

❖ قال القاضي أحمد بن عمر اليميني (٩٣٠):

«قلت للفقير أين أنت مقيم قال في عمام الفقهاء

إن بيّني وبينهم لإخاء وعزّيز عليّ قطع الإخاء»

❖ ويقول آخر:

«إن الفقيه هو الفقير وإنما راء الفقير تجمعت أطرافها»

❖ وقال بعضهم:

«شغلنا بكسب العلم من مكسب الغني كما شغلوا عن مكسب العلم بالوفر

وصار لهم حظ من الجهل والغنى وصار لنا حظ من العلم والفقرة»

❖ قال النضر بن شميل: «أقام الخليل بن أحمد في خُصٍّ له بالبصرة

لا يقدر على قلسين وتلامذته يكسيون بعلمه الأموال وكان يقول: إني

لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همّي . وقال الخليل: لا يصل أحد من النحو

إلى ما يحتاج إليه إلا بعد معرفة ما لا يحتاج إليه» - قال الصفدي (مقدمة

الوافي): «وهكذا كل علم لا يبلغ الإنسان إتقانه إلا بعد تحصيل ما لم

يفتقر إليه» اهـ.

❖ قال ابن خَلِّكان (وفيات الأعيان ١٦١/٢) ذكره أبو عبيدة من

مثالب البصرة: «ضافت المعيشة على النضر بن شميل البصري بالبصرة

فخرج يريد خراسان فشيعة من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل

ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو إخباري فلما صار

بالمربد جلس وقال: يا أهل البصرة يعز عليّ فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة [مكيال] باقلى (فول) ما فارقتكم، قال: فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فأفاد مالاً عظيماً وكانت إقامته بمرور. ثم ذكر قصة مع المأمون «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» [ضعيف] السداد: القصد والاعتدال، والسداد: البلغة وكل ما سددت به شيئاً.

فقال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا العرّجي يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

ثم كتب له بخمسين ألفاً. وكذلك خازنه الفضل بن سهل أعطاه ثلاثين ألفاً.

✽ يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل خلف له أبوه ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه، فقد ترك يحيى من الكتب ١١٤ قمطرًا.

[القمطر في الأصل: البعير الشديد الصلب أو الضخم القوي - وهو السفط كالجوالق

أو كالقفة].

✽ قال حجاج بن الشاعر (شيخ مسلم): «جمعت لي أمة مائة رغيف فجعلتها في جراب واتحدرت إلى شبابة بالمداين فأقمت مائة يوم ببابه أجيء بالرغيف فأغمسه في دجلة وأكله فلما نفدت خرجت».

٣ - الصبر على الجوع والعطش في سبيل الطلب:

✽ قال الحافظ ابن حجر عند كلامه على حديث أبي هريرة المتقدم «إن إخواننا من المهاجرين»: «في هذا الحديث أن التقلل من الدنيا أمكن لحفظ العلم».

✽ في حلية الأولياء (٦/٣٧٣): قال ابن عيينة: «جاع سفيان الثوري جوعاً شديداً مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً فمر بدارٍ فيها عرس قدعته نفسه إلى أن يدخل فعصمه الله ومضى إلى منزل ابنته فأتته بقرص فأكله وشرب ماءً فتجشئ ثم قال:

سيكفيك عما أغلق الباب دونه وضنَّ به الأقوام ملح وجردق
وتشرب من ماءٍ فرائٍ وتغتدي تعارض أصحاب الثريد الملبق
تجشئ إذا ما هم تجشئوا كأنها ظللت بأنواع الخبيص تفتق»

(جردق: الرغيف، الملبق: الملبس بالسمن، الخبيص: حلواء تعجن بسمن).

✽ قال ابن الجوزي (صيد الخاطر ٢/٣٣٠): «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو:

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب
كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب
الحديث وأقعد على نهر عيسى [ببغداد] فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء

فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم فأنمر ذلك عندي أني عُرِفْتُ بكثرة سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم».

❖ قال ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل في ترجمة والده: «سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم سنة فانتقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خالٍ فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد وغدا عليّ رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعاً، فلما كان من الغد غدا عليّ فقال: هُربنا إلى المشايخ، فقلت: أنا ضعيف لا يمكنني، قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً، فقال لي: قد بقي معي دينار فأنا وأواسيك بنصفه ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار.. قال: خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس أبو زهير المروزي وذي شيخ وآخر نيسابوري.. وركبنا البحر ثم مشينا، فكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاعت بنا صدورنا وفني ما كان معنا من الزاد وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

نمشي أيامًا على البر حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة لم يأكل أحد منا شيئًا ولا شربنا واليوم الثاني كمثل واليوم الثالث كل يوم نمشي إلى الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ المُرُورُوذِي مَغْشِيًا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه، ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري، قدر فرسخ أو فرسخين فضعفت وسقطت مَغْشِيًا علي ومضى صاحبي وتركني، فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى عليه السلام، فلما عاينهم لَوَّح بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا أنفسهم مَغْشِيًا عليهم فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني فقلت: اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا فشربت وَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي ولم يَرُونِي ذلك القدر فقلت: اسقني فسقاني يسيرًا وأخذ بيدي. فقلت: ورائي شيخ ملقَى، قال: ذهب إلى ذاك جماعة فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ويسقيني شيئًا بعد شيء حتى إذا بلغت سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ أحسن إلينا أهل السفينة فبقينا أيامًا حتى رَجَعْتُ إلينا أنفسنا. ثم كتبوا كتابًا إلى مدينة يقال لها: راية (مصرية قبلية) إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء فلم نزل نمشي حتى نقد ما كان معنا من الماء

والسويق والكعك فجعلنا نمشي جياعًا على شط البحر حتى وقعنا على سلحفاة قد رمى بها البحر مثل الترس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهرها فانفلق ظهرها وإذا فيها مثل صُفرة البيض فأخذنا من بعض الأصداف الملقاة على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش، ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية وأوصلنا الكتاب إلى عاملها فأنزلنا في داره وأحسن إلينا وكان يقدم إلينا كل يوم القرع ويقول لخادمه: هاتِ لهم اليقطين المبارك فقدّم إلينا من ذلك اليقطين مع الخبز أيامًا فقال واحد منا بالفارسية: ألا تدعو لنا باللحم المشثوم؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار فقال: أنا أحسن الفارسية فإن جدتي كانت هروية فأتانا بعد ذلك باللحم ثم خرجنا من هناك وزودنا إلى أن بلغنا مصر».

٤ - الصبر على العُري ونفاد المال في سبيل الطلب:

✽ في تاريخ بغداد (٩/ ٢٨٨) في ترجمة شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي:

«قال عمر بن هياج بن سعيد الهمداني: كنت في أصحاب شريك فأتيته يومًا وهو في منزله باكرًا فخرج إليّ في فرو ليس تحته قميص عليه كساء فقلت له: قد أضحيت عن مجلس الحكم، فقال لي: غسلت ثيابي أمس فلم تجف فأنا أنتظر جفافها..».

✽ وقال شعبة: «من طلب الحديث أقلس بعث طست أمني بسبعة

دناتير...».

❖ وقال يحيى بن معين: «فلما خرجنا إلى صنعاء نفدت نفقة أحد (ابن حنبل) فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة قلم يقبلها، فقال له: اقبلها على وجه القرض فأبى وعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبلها فاطلعنا عليه وإذا به يعمل التكك ويفطر على ثمنها».

❖ قال ابن جرير الطبري: «أبطأت عني نفقة والدي واضطرت إلى أن فتقت كمّي قميصي فبعتهما» [تذكرة الحفاظ].

❖ قال أبو بكر بن أبي داود: «دخلت الكوفة ومعى درهم واحد فاشترت به ثلاثين مدّاً باقلاء فكنت أكل منه وأكتب عن الأشج، فما فرغ الباقلاء حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومرسل» [تذكرة الحفاظ].

❖ قال أبو بكر البرقاني: «دخلت إسفرايين ومعى ثلاثة دناتير ودرهم واحد فضاعت الدناتير وبقي الدرهم حسب قدفعته إلى خباز فكنت آخذ منه كل يوم رغيفين وأخذ عن بشر بن أحمد جزءاً من حديثه وأدخل مسجد الجامع فأكتبه وأفرغه بالعشي فكتبت في مدة شهر ثلاثين جزءاً ونقد ما كان لي عند الخباز فسافرت عن البلد» [تاريخ بغداد].

❖ قال هبة الله بن المبارك السقطي: «كان مسند بغداد أبو الغنائم محمد بن علي الدجّاجي اليعبادي ذا وجاهة وتقدم حال وسعة وعهدي به وقد أضنى عليه الزمان بصروفه، وقد قصدته في جماعة مثرين لنسمع

منه الحديث وهو مريض فدخلنا عليه وهو على بارية - حصيرة - وعليه جبة قد أكلت النار أكثرها وليس عنده ما يساوي درهماً فحمل على نفسه حتى قرأنا عليه بحسب شرهنا ثم قمنا وقد تحمل المشقة في إكرامنا فلما خرجنا قلت: هل مع سادتنا ما نصرفه إلى الشيخ؟ فقالوا إلى ذلك فاجتمع له نحو خمسة مثاقيل من ذهب فدعوت ابنته وأعطيتها ووقفت لأرى تسليمها إليه، فلما دخلت وأعطته لطم وجهه ونادى وافضحتاه أخذ على حديث رسول الله ﷺ عوضاً؟ لا والله ونهض حافياً فنادى: بحرمة ما بيننا إلا رجعت فعدت إليه فبكى وقال: تفضحني مع أصحاب الحديث؟ الموت أهون من ذلك وأعدت الذهاب إلى الجماعة فلم يقبلوه وتصدقوا به» [فتح المغيب ١/ ٣٧٤].

٥ - الصبر على العزوبة وترك الزواج:

وهو من المرغوبات الشرعية والفطرية وذلك للتفرغ للارتحال والتحصيل والتأليف والاستفادة والإفادة، ولا شك أن التبتل والانقطاع عن الزواج اختياراً شدة من أكبر الشدائد في حياة الإنسان العالم يفقد بها الأنس الروحي والسكون النفسي ويتحمل معها مشاق العزوبة في شئون الطعام والشراب والنظافة وخدمة البيت والمسكن ويحرم بسببها رعاية المرأة وحنانها عند نزول الأمراض عليه ومن خدمة بنيه وقت الشيخوخة ومتاعبها، وهذه المشاق لا يتحملها إلا من رأى الصبر عليها أهون من فقد الازدياد من العلم وتحصيله ونشره فأثر ما

الكشف الحثيث عن آداب طالب الحديث

يراه أغنم وأعظم على ما يراه ألد وأنعم، ولا شك أيضًا أن الزواج قيد ثقيل بمسئولياته المادية والمعنوية التي تعوق أو تمنع من العلم والارتحال في طلبه.

✽ ذكر العجلي معمر بن راشد في ثقافته فقال: «معمر بن راشد يكنى أبا عروة بصري سكن صنعاء اليمن وتزوج بها.. ولما دخل صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجل: قيدوه فزوجوه. فأقام عندهم حتى مات رحمه الله تعالى».

ومن لطيف ما أشير به إلى أن الزواج قيد ومسئوليات ثقيلة قول بعض الظرفاء:

إن ذنبًا أمسكوه وتمازوا في عقابه

قال شيخ زوجوه ودعوه في عذابه

ولذلك أثر بعض العلماء الأفذاذ العزوبة على ما فيها من مشقة على

الزواج:

(أ) بشر بن الحارث [الحافض] الإمام الزاهد العابد المحدث

الفقيه الجليل الثقة (١٥٠) قال الإمام أحمد: «إنما قوي بشر لأنه كان وحده ولم يكن له عيال، ليس من كان مُعِيلاً كمن كان وحده، لو كان إليّ ما باليت ما أكلت، ولو ترك الناس التزوج من كان يدفع العدو؟ لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطاً يطلب منه خبراً أفضل من كذا

وكذا فأين يلحقه المتعبد الأعزب».

(ب) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر المحدث
الأصولي الفقيه النظار المقرئ المؤرخ اللغوي، له كتاب التفسير، قال ابن
خزيمة بعد أن وقف عليه: «نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على
أديم الأرض أعلم من ابن جرير»، وحكى بعض تلاميذه «أنهم حصّلوا
أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة ثم
قسموا عليها أوراق مصنفاته قصار على كل يوم أربع عشرة ورقة وهذا
شيء لا يتهياً لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق».



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
١ - النية في طلب الحديث	٤
٢ - التحلي بالأخلاق الشريفة باطنًا واستعمال السمات وحسن الهدي ظاهرًا	٧
٣ - انتقاء الشيوخ الثقات العدول المشهورين باستقامة الدين وجميل الذكر وشرف الأخلاق	١٠
٤ - تفرغ القلب للعلم وعدم إشغال فكره بسواه	١٣
٥ - كتابة العلم وتدوينه	١٥
❁ بعض آداب الكتابة	١٨
٦ - توقير الشيخ وتقديره وهيئته	١٩
٧ - الصبر على الطلب والتحصيل	٢٢
والصبر على أنحاء شتى منها	٢٣
١ - الصبر على الترحال	٢٣
٢ - الصبر على هجر النوم والراحة والدعة وسائر اللذات	٢٧
٣ - الصبر على الجوع والعطش في سبيل الطلب	٣٢
٤ - الصبر على الغري وفقد المال في سبيل الطلب	٣٥
٥ - الصبر على الغزوة وترك الزواج	٣٧

